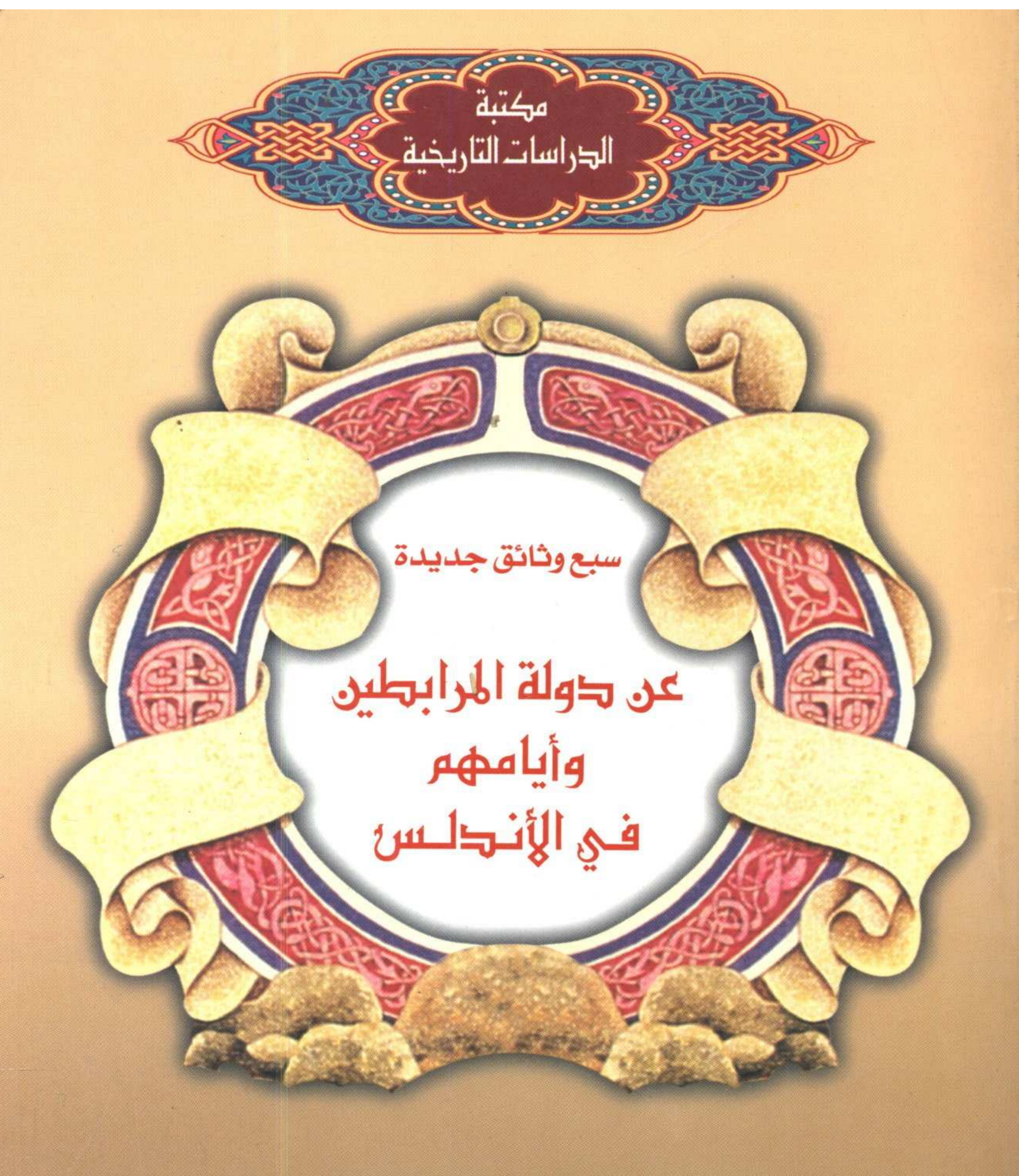


تأليف: دكتور حسين مؤنس

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
للنشر والتوزيع

مكتبة الثقافة الدينية
للنشر والتوزيع


مكتبة
لسان العرب
www.lisanarb.com

سبع وثائق جديدة

عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس

تأليف

حسين مؤنس

الطبعة الأولي
١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

تمهيـــــد

لم يخطئ _ المؤرخون _ قدامى ومحدثين في الحكم على دولــة إسـلامية كما أخطأوا فى الحكم على دولة المرابطين، فـهى فـى عـرف القدامــى مـن مؤرخــى المغرب دولة طارئة لم تقدم للعالم الإسلامى إلا خدمة واحدة : وهى انتصارهـا فـى موقعة " الزلاّقة " وإيقافها تقدم نصارى الشمال فى غرب الأندلس إلى حين . وفيما خلاً ذلك لم يفعل المرابطون _ فى عرف أولئك القدماء _ أكثر مـن سـيادة المغـرب الأقصى ، بالقوة حيناً وبالحيلة حيناً آخر، لفترة قصيرة من الزمان، ومحاولة سيادة الأندلس بالعسف والقهر والغدر ، وفشـلهم فـى هـذه المحاولـة وقيـام الأندلسيين عليهم وتخلصهم من سلطانهم واستئصالهم شأفة من ظفروا به فى الأندلس منهم [1] أما أنتصابهم للدفاع عـن حـوزة الإسـلام ومحاولاتـهم اسـتنقاذ شـرق الأندلـس. أمـا استشهاد أمرائــهم وقوادهـم واحـداً بعـد واحـد فـى سـبيل أداء هـذه الرسـالة. أمـا ارتـهانـهم موارد دولتهم كلها من المال والرجال للذياد عن الجناح الغربــى المتــهدم لدولـة الإسـلام، وأمـا إقامتـهم دولـة عظيمـة سـليمة الأسـس فـى المغـرب الأقصـى وإنشاؤهم " مراكش" معقل الحضارات الإسلامية فى الغرب الإسلامى كله، أمـا هـذا كله وغيره كثير، فلا يكاد يذكره مؤرخ منهم إلا لماماً، ولا يكاد يسـتوقف المـؤرخ القديم من تاريخ الدولة المرابطية وأحوالها وصفات رجالـها غـير دهـاء يوسـف بـن

(1) راجع مثلاً : "المعجب فى تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحـد المراكشـى (طبعـة القاهرة ١٩٥٠م) ص ١٧١ - ١٧٦

تاشفين وجهله وغلظ طبعه، ولين عليّ بن يوسف وفولته وعجزه عن القيام بشئون الدولة ، وغلظة أجناد المرابطين وجفاء مظهرهم وتراميهم على خيرات الأندلس وغلبة النساء على الدولة، وأثر ذلك كله فى ضياع أمرهم وإدالة الأمر للموحدين منهم.

وعلة ذلك كله هى أن تاريخ هذه الفئة الباسلة من الصنهاجيين لم يكتب إلا فى عصور الموحدين ومن جاء بعدهم، وقد كان محمد بن تومرت _ مهدى الموحدين _ قد شن على المرابطين حملة عنيفة لم تدع لهم فضلاً إلا أتت عليه، فقد كان الرجل داعية موهوباً ذكياً طامعاً فى الدولة من أول الأمر، فأتى للناس من ناحية العقيدة. ورمى المرابطين بالتنجسم والكفر والمروق عن الدين، وانتهز ظاهرة انتساب بعض المرابطين إلى أمهاتهم - جرياً على عادة لمتونية قديمة - فأوهم الناس أن النساء غالبات على أمور المرابطين، واستقرت هذه الدعوة فى أذهان الناس حتى قال عبد الواحد المراكشى صاحب "المعجب" - وهو كاتب موحدى - "واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر ومأجور. وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغافله ويقوى ضعفه، وقنع بأسم إمرة المسلمين وبما يُرفع إليه من الخراج، وعكف على العبادة والتبتاع، فكان يقوم الليل ويصوم النهار، مشتهرا عنه ذلك، وأهمل أمر الرعية غاية الإهمال ، فأختل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس وكادت تعود إلى حالها الأول، لاسيما منذ قامت دعوة ابن تومرت بالسوس" [1]، وحتى أزرى أبو الوليد الشقندى بيوسف بن تاشفين "الذى لولا توسط

[1] عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٧٧

ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكراً ولا رفعوا لملكه قدراً "[1] بل إن صاحب "الحلل الموشية" - الذى كتب فى ظل بنى مرين، وتجرد فى كتابته عن هذه الكراهة المتأصلة للمرابطين ، وأمِنَ سطوة الدولة إذا هو أفاض بعض الشئ فى محاسن يوسف بن تاشفين وآله - لا نعَدم فى كلامه إشارات إلى مكر يوسف وغدره بأبى بكر بن عمر، صاحب الفضل الأول فى قيام الدولة على رأيه.

هذا إلى أن الأندلسيين كانوا ينطوون نحو المغرب وأهله من البربر على لدد يرجع إلى أيام المنصور بن أبى عامر. فتلقفوا أقاويل محمد بن تومرت وأضافوا إليها وأجروا بها ألسنتهم، وعنهم أخذها مؤرخو العالم الإسلامى كله، فلم يجد ابن الأثير ما يرويه من تفاصيل حياة يوسف بن تاشفين إلا "حيلة ظهر أمرها ظهورا عجيباً [2]" ذكر فيها كيف احتال يوسف على قتل زعيم المتونى منافس له بشتى الطرق، فأبى اللّه إلا أن يظهر مكره. وربما تحسن هذا الوضع واستطعنا أن نرى المرابطين تحت ضوء جديد بعد أن عثر الأستاذ ليفى بروفنسال على تاريخهم الذى كتبه ابن الصيرفى وعنى بإخراجه إلى النور.

وقد أختلف المؤرخون المحدثون حول المرابطين. فأبغضهم " راينهارت دوزى" بغضاً يكاد يكون شخصياً، لأن إعجابه بالمعتمد بن عباد أدى به إلى كراهة من خلعوه من عرشه ونفوه إلى أغمات، فمضى يتصيد مآخذهم ويبالغ فيها. وأعتمد على كلام عبد الواحد المراكشي وسدر فى ذمهم بأسلوبه القارص. وكان دوزى بطبعه يكره رجال الدين، أنى كانوا وأيا كانوا، فأسخطه من المرابطين ثقتهم فى الفقهاء

---

(1) نفح الطيب (طبعة ليدن) ، ج ٢ ص ١٢٨

(2) ابن الأثير : الكامل (طبعة القاهرة ١٩٤٩) ج ٨ ص ١٥١

وإسلامهم الكثير من أمور الدولة لهم، وأسخطه كذلك ما كان من تسلط الفقهاء على غيرهم من الناس فى الأندلس واستبدادهم بهم، فحمل على المرابطين حملة قاسية فى الجزء الثالث من تاريخه لمسلمى الأندلس الذى أداره على ملوك الطوائف عامة وبنى عباد خاصة، وقسا فى الحكم عليهم كذلك فى تعليقاته اللاتينية على النصوص التى جمعها عن بنى عباد فى كتابه المعروف، وفى "أبحاثه" ذات القيمة العلمية الكبيرة .

ثم أتى فرنثثكو كوديرا، وكان شديد الميل بطبعه إلى رجال الدين ، وإن لم يكن منهم. فساءته من دوزى حملته على الفقهاء، فتجرد للرد عليه وأنصف الفقهاء - والمرابطين تبعاً لذلك - من آراء دوزى، وأختص هؤلاء الأخيرين بكتيب عظيم القيمة على رغم صغر حجمه وبدراسات أخرى كثيرة ألقت على المرابطين ضوءاً جديداً [1] .

ولم تثمر جهود كوديرا كثيراً فى تحويل المؤرخين عن رأى دوزى فى المرابطين، ولم يتابعه فى رأيه المعتدل إلا يوسف آشباخ ورافاييل باليستيروس فى بعض الأحيان، أما الباقون من أمثال فرنثيسكو سيمونيت وفيدل فيتا وسانشد البورونوت ومنتدذ بيدال فلا نرى للمرابطين فى كتاباتهم إلا صوراً قاتمة جداً .

بيد أن النصوص التى بين أيدينا على قلتها تعيننا على تصحيح هذا الرأى. ولو درسها المؤرخ دراسة فحص وتعمق لوجد فى ثناياها الكثير من الإشارات الصادقة التى تظهر خطأ دوزى ومتابعيه، ولو أننا استخرجنا ما فى "المكتبة

---

(1) F . Codera Decadenia y desaparicion de los Almoravides en Espana. (Madrid . 1899)

الأندلسية" وحدها من مادة تاريخية مبعثرة فى أطواء التراجم ، لوجدنا أنفسنا آخر الأمر أمام مادة جديدة تجعل إعادة كتابة تاريخ المرابطين أمراً واجباً.

وهناك مورد آخر حافل بالمادة التاريخية عن هذه الجماعة المفترى عليها لم يلتفت إليه المؤرخون والعاملون على الأدب الأندلسى إلا أخيراً، ففى مكتبة سان لورنزو بالأسكوريال مخطوطان يحملان رقمى ٤٨٨ و ٥٣٨ (مخطوطات عربية) يظن المتصفح لهما أنهما مجموعان من النماذج الأدبية الأندلسية شعراً ونثراً. فإذا مضى يفحص هذه النماذج واحداً فواحداً تبين له أن المخطوطين يضمان فى ثناياهما وثائق عظيمة الأهمية عن المرابطين والموحدين وعصرهم: بعضها مكاتبات رسمية صادرة عن دواوين الإنشاء وبعضها الآخر رسائل إخوانية أو مراسلات بين أصحاب الأمر فى الأندلس خلال عصر الطوائف، وكلها غزيرة المادة عظيمة الفائدة. هذا إلى آثار أخرى ذات قيمة كبرى كالرسالة الشعوبية لأبى مروان ابن غرسية والردود عليها. وقد عنى بها إجناتس جولد تسيهر ونشر جزءاً منها مع ترجمة له وبحث عن الشعوبية فى الأندلس فى مجلة جمعية الاستشراق الألمانية[1]، و " رسالة الراهب إلى إفرانسة" التى عنى بأمرها آسين بلاثيوس حيناً ثم عكف على دراستها بعد ذلك المستشرق الأنجليزى دنلوب [2].

---

(1) 1 . Goldziher, Die Su'ubiyya unter den Mobammedanern in Spanien. Z.D.M.G. Band L111, 1899 p. 6_{01} - 6_{20}

وقد نشر نص الرسالة كاملاً، معتمداً على الأصل الموجود بالمخطوط الذى نحن بصدده ، ونسخة أخرى لها فى ذخيرة ابن بسام . السيد أحمد مختار العبادى فى رسالته : "الصقالبة فى أسبانيا، (منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد) سنة ١٩٥٣ م ، أنظر ص ٣١ ومايليها. وأعاد نشر الرسالة مع الردود عليها الأستاذ عبد السلام هارون خلال العام (١٩٥٤م).

(٢) انظر : D.M.Dunlup, A Cbristian Missium Spain in tbe 11 tb Century Al- Andalus Vol. Xv11, 1952 @ 259 @ 99.

وقد لفت نظرى إلى هذين المجموعين صديقى الدكتور عبد العزيز الأهوانى، فلم أكد أطلع على مادتهما حتى تبينت لى أهميتهما التاريخية، وتبينت كذلك صعوبة نشر هذه الوثائق كلها دفعة واحدة ، لأنها عبارة عن مجموعات صغيرة يتعلق كل عدد منها بموضوع واحد، ولا بد من تصنيفها أولا، وجمع المترابط منها بعضه إلى بعض، ثم دراسة كل من هذه المجموعات على حدة، والتقديم لها بما يُمَكِّن القارئ من وضعها فى مكانها الذى تستحقه بين الوثائق التاريخية، ثم تعليق الحواشى وشرح الغوامض وما إلى هذا من مطالب نشر المخطوطات.

وقد بدأت بهذا العمل منذ حين، ونشرت فى مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (مجلد ١ جزء ٢، ديسمبر ١٩٤٩م) أربع قطع تتعلق بتاريخ الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين، ونشرت فى جزء تال من نفس الصحيفة (مجلد ١٢ جزء ٢ ، ديسمبر ١٩٥٠م) ثلاث وثائق موحدية هامة، وأنشر فيما يلى أربع وثائق أخرى ذات أهمية خاصة لتاريخ المرابطين، وعصرهم وهى:

أولاً : رسالة من عبد الله العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين إلى مقيم الدعوة العباسية وزعيم جيوشها المغربية على بن يوسف بن تاشفين رحم الله جميعهم بمنه (مخطوط ٥٣٨ ص ٧٤ ب و ٧٥ أ) .

ثانياً : رسالة من يوسف بن تاشفين إلى ابنه أبى بكر (مخطوط ٥٣٨ - ٧٤ أ) .

ثالثاً : رسالة من أمير المسلمين تاشفين (بن على) إلى الزبير بن عمر (مخطوط ٥٣٨ ص ٦٦أ ، ٦٦ ب) .

رابعاً : كتاب صَكٍّ عن أحد الرؤساء (ص ٨٣ أ و ب من المخطوط رقم ٤٨٨) .

= والآن يعيد دراسة هذه الرسالة السيد جودة عبد الرحمن هلال عضو المعهد المصرى فى مدريد

ورأيت أن أضيف إليها ثلاث قطع أخرى لا تتصل بالمرابطين أو إدارتـهم، وإنما بالحياة الفكرية فى الأندلس فى عصرهم، فهى تدور حول خصومة قامت بين أبى بكر بن الصايغ المعروف بابن باجه الفيلسوف وأبى محمد بن عبد اللّه بن محمد ابن السِّيد البطليوسى الفقيه الأديب النحوى المعروف " وإنما رأيت أن أنشرها فى هذا الموضع لأنها تلقى ضوءً على "الجو" الذى كان يعيش فيه أهل الفكر فى ذلك العصر، وما كان بينهم من صدقات وخصومات، وما كانوا يشغلون أنفسهم به. فبينما كانت البلاد فريسة بين يدى الأقدار، يغير عليها الأعداء من كل ناحية، ويتخطفها الطامعون فى الملك والسلطان فى كل صقع، كـان هـؤلاء المفكرون يشغلون أنفسهم بالنزاع فى مسائل نحوية ويقدحون زناد أفكارهم لتجود بسجعات عجاب من أمثال شَيْلَم وعَيْلَم وصَيْلَم.

وهى من ناحية أخرى تدلنا على الظروف التى كانت تحيط بذلك الفيلسوف النابه، فبينما كان هو مشغولاً برسائله الفلسفية وكتاباته فى النبات وما إلى ذلك من مجالات التفكير الإيجابى، كان أساتذة البلاغة وأساطين البديع والسجع يناوشونه ويركبونه بالمساءات، ويستعين بعضهم ببعض عليه، فلم ينفرد ابن خاقان بهجوه والحملة عليه كما كنا نظن، بل شاركه فى ذلك نفر من كبار الأدباء على النحو العنيف الذى سنراه فيما بعد.

ومما هو جدير بالذكر أن واحة من هذه الرسائل لا تتهم ابن باجه بالمروق عن الدين كما فعل الفتح ابن خاقان فى الفعل الفصل الذى أداره عليه فى القلائد، ولو وجدوا إليه سبيلاً من هذه الناحية ما ترددوا فى مهاجمته منه، مما يدلنا على

أن اتهام لرجل بالانحراف عن العقيدة، بسبب اشتغاله بالفلسفة، لم يكن ذائعاً في ذلك الحين.

ومن الحق أن تقرر كذلك أن الرسالات الثلاث تدل على أن ابن باجة آذى صاحبها بلسانه وتصرفه، فدفعه بذلك إلى الشكوى والاستنجاد بأصحابه من أهل الأدب، ونحن لا نستبعد ذلك، لأن الثابت أن ابن باجة كان هو البادى فى الخصومة التي شجرت بينه وبين الفتح بن خاقان فى خبر معروف. ويبدو أن الفليسوف كان يترخص فى السخر من الناس واستعجالهم، مما أثار حوله الخصومات. وينبغي أن نضيف أن هذا اللون من الخصومات كان شائعاً بين أهل الأدب فى ذلك العصر. وفى أحاديث أبى مروان بن حيان وأبى الحسن بن بسام عن معاصريهما ما يدل ذلك بأجلى بيان.

وهذه الرسائل الثلاث التى أنشرها هنا هى :

خامساً : رسالة خاطب بها الفقيه أبو محمد (عبد اللّه بن محمد بن السيد البطليوسى) الوزير أبا محمد بن الأَرَوْشى فى مسئلة نازع فيها ابن باجة (مخطوط ٤٨٨ ص ٣٥ ب - ٣٦ أ) .

سادساً : رسالة خاطب بها الفقية الأستاذ (أبو محمد بن السيد البطليوسى للوزير أبى محمد بن سفيان فى هذه القصة (مخطوط ٤٨٨ ص ٣٦ أ - ب و ٣٧ أ) .

سابعاً : رسالة خاطب بها الفقيه الأستاذ (أبو محمد بن السيد البلطليوسى . للوزير أبى عامر بن المكَنَّاس فى هذه القصة (مخطوط ٤٨٨ ص ٣٧ أ - ب و ٣٨ أ).

وقبل نشر نصوص هذه الوثائق والتعليق عليها أشير إلى ما قررْتُه قبل ذلك من اجتماع الأسباب كلها لتوكيد إصالة هذه الوثائق وإمكان الاعتماد عليها

كقطع تاريخية صحيحة على الرغم من أنها نسخ منقولة عن الأوراق الرسمية: فقد اطلع على النصوص الواردة فى المخطوط رقم ٥٣٨ أديب أندلسي كبير موثوق فيه هو محمد بن أحمد بن محمد بن سيد الناس وصححه وأكماله وسمع بعضة على شيخه عمر بن محمد بن عبد اللّه الأزدى المعروف بابن الشلوبين، ثم عرضه عليه بعد الفراغ من تقييده، فقرأة وكتب بخط يده وتوقيعه "المكتوب فوق هذا صحيح، قاله عمر بن محمد الأزدى فى التاريخ" (ص ١٢٠ أ) [١].

والتاريخ المشار إليه هنا هو عقب شهر ذى قعدة سنة ٦٤٣ هـ .

---

[١] راجع ص ١٢٠ أ من المخطوط رقم ٥٣٨، وكذلك ص ٩١ – ٩٣ من مقالى : "الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين" (صحيفة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مجلد ١١ ج ٢ ديسمبر ١٩٤٩) .

الوثـــــــــائق

الوثيقة الأولـــــــــى

رســـــــــــالة

الخليفة المستظهر العباسى إلى على بن يوسف بن تاشفين

تقديـــــم :

تُجمع المراجع كلها على أن يوسف بن تاشفين كـاتَبَ خلفـاء بنـى العبـاس ودخل فى طاعتهم وطلـب منـهم تقليـداً بـالحكم باسـمهم فـى بـلاده، فأتتـه الخلـع والأعلام والتقليد.

ولكن ابن الأثـير ينفـرد بتحديـد التـاريخ الـذى بـدأت فيـه صـلات يوسـف بالعباسيين، فقد قال بعد أن فرغ من سرد حوادث الجواز الثانى ليوسف بن تاشـفين إلى الأندلس (الذى استنزل فيه عبد اللّه بن زيرى آخر أمراء غرناطة من بنى زيرى عن بلده وأرسله إلى إفريقية، وتجرد بعد ذلك لاستنزال بقية أمراء الطوائـف بادئـاً بالمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية) . قال ابن الأثير: ورحل (أى يوسف بن تاشفين) إلى العدوة. ولما رجع أمير المسلمين إلى مراكش أطاعه من كان لـم يطعـه مـن بـلاد السوس ووزغة و "قلعة مهدى" وقال له علماء الأندلس: إنه ليسـت طاعتـه بواجبـة حتى يخطب للخليفة ويأتيه منه تقليد بالبلاد، فأرسل إلى الخليفة المقتـدى بأمر

اللّه ببغداد. فأتاه الخلع والأعلام والتقليد ولقب بأمير المسلمين وناصر الدين [1].

وكان هذا الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس فى ربيع الأول سنة ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م [2] . ولم يمكث فى الأندلس غير أربعة أشهر، أى أنه عاد إلى مراكش فى رجب من هذه السنة، فإذا كان قد كتب إلى الخليفة المقتدى بعد عودته تلك مباشرة، كما يقول ابن الأثير، فإننا نستطيع القول بأن التقليد العباسى ليوسف ابن تاشفين وصل إليه فيما بين شعبان وآخر سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨ م . أى قبل وفاة المقتدى بست سنوات.

ولكن صاحب "الحلل الموشية" يقدم لنا رواية غريبة يفهم من سياقها أن الذى لقب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وناصر الدين لم يكن الخليفة العباسى. وإنما الذى حدث – فى رأيه – هو أن يوسف بن تاشفين بعد أن فتح فاس وتلمسان فى سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م . ثبتت دعائم ملكه فى المغرب الأقصى كله. وكان يتسمى إلى ذلك الحين بالأمير فلما ضخمت مملكته واتسعت عمالته اجتمعت إليه أشياخ قبيلته وأعيان دولته وقالت له : " أنت خليفة اللّه فى أرضه وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين " فقال لهم : " حاشاً للّه أن نتسمى بهذا الإسم ، أنما يتسمى به خلفاء بنى العباس، لكونهم من تلك السلالة الكريمة و لأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وأنا رجلهم والقائم بدعوتهم " ، فقالوا له :

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ١٤٣

(٢) بين المؤرخين خلاف حول هذا العبور الثانى الذى خلع فيه يوسف الأمير عبد الله صاحب غرناطة وكلف قواده باستنزال بقية أمراء الطوائف من قواعدهم ، فيجعله صاحب "روض القرطاس" (ص ٩٨) وابن خلكان (مادة يوسف بن تاشفين) والسلاوى صاحب "الاستقصا" سنة ٤٨١ هـ.

أما صاحب الحلل الموشية فيجعله العبور الثالث (طبعة علوش ص ٦١) . ولكن الثابت أن الرأى الأول أصح وأنظر : F . Codera Almoràvidcs, 227

"لابد من إسم تمتاز به" وبعد ما ألحوا عليه [1] أجاب إلـى "أمـير المسـلمين ونـاصر الدين" فخطب له بذلك فى المنابر وخوطب به من العدوتين. وأمر كتابــه أن يكتبـوا عنه في ذلك، فكتبوا ونصوا به ما نصه..." ثـم يلـى ذلـك نـص كتابـه إلـى عمالـه ورجال دولته[2]، وليس فيه أيه إشارة إلى أن الخليفة العباسى خلع علـى يوسـف ابن تاشفين ذلك اللقب، بل ليس فيـه إشـارة إلـى العباسيين وتبعيتـه لـهم بصـورة صريحة، كما يفهم من حديث يوسف نفسه فى نص كلامه السابق. ومـن الغريـب أن تاريخ هذه الرسالة التى يوردها صاحب "الحلـل" هـــو منتصف المحـرم ٤٦٦ هـ/ ١٠٧٣ م . كما هو وارد فى متنها، مما يفهم منه أنه أخطأ إذ وضع الخبر كله بعد فتح تلمسان سنة ٤٦٨ هـ وأن التقلب بلقب أمير المسلمين يرجع إلى ما قبل ذلك.

وقد عثرنا على قطعة من العملة المرابطية ضربت فى عهد أبى بكر بن عمـر سَلَف يوسف بن تاشفين وواضع أسس الدولة المرابطية فى السوس الأدنـى، أى قبـل انتقال الدولة إلى الشمال وقبل إنشاء مراكش على يد يوسف بن تاشفين. وقد ضربت هذه القطعة فى "سجلماسة" حاضرة دولة المرابطين إذ ذاك، وقد نقش على وجهيها ما يلى :

---

[1] لم يترك الناشر هنا بياضاً ، ولكن السياق لا يستقيم بغير مثل هذين اللفظين فى هذا الموضع

[2] "الحلل الموشية" (طبعة علوش، رباط ١٩٣٦م) ص ١٩ - ٢٠

	ظهر		وجه
الإمـــام		لا إله إلا اللّه	
عبـــد		محمد رسول اللّه	
اللّه		الأمير أبو بكر	
أمير المؤمنين		بن عمر	

وفى إطار الوجه:

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل
منه وهو فى الآخرة من الخاسرين

وفى إطار الظهر:

بسم اللّه : ضرب هذا الدينار بسجلماسة
سنة إحدى وخمسين وأربعمائة[1]

وهذه العبارة الواردة بظهر قطعة العملة واضحة الدلالة: إنها تقرر ولاء المرابطين فى ذلك الحين المبكر للخليفة العباسى (أبى جعفر) عبد اللّه (القائم باللّه) (٤٢٢هـ-٤٦٧ هـ/ ١٠٣١ م- ١٠٧٥ م). وليس إلى الشك سبيل فى أن أبا بكر ابن عمر لم يكتب ذلك فى عملته إلا بعد أن راسل الخليفة العباسي وتلقى منه إجابة بقبول طاعته وتقليدا بولايته، ولكن الخليفة لم يمنحه لقب "أمير المسلمين وناصر الدين" كما يرى بوضوح من نص العملة. ومن الجائز أن يكون ذلك التلقيب قد حدث على أيام يوسف بن تاشفين الذى تولى عرش الدولة المرابطية وهى فى طاعة بنى العباس فعلاً، بدليل قوله " وأنا رجل هذه الدولة والقائم بدعوتها" ويحتمل جداً

(١) راجع : Codera, Almoràvides, pp. 375 – 377
Caslo M'del Rivero, La Moneda Aràbigo - Espanola (Madrid: 1933) p. 39 y x 155-x 156

أن يكون يوسف بن تاشفين هو الذى اختار لنفسه لقب "أمير المسلمين وناصر الدين" كما يفهم من نص "الحلل الموشية" ولم يعترض عليه الخليفة العباسى المقتدر باللّه خاصة بعد أن جاز يوسف إلى الأندلس وأبلى فى الجهاد فيها وكسب انتصار الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ فكتب إليه المقتدر وبعث إليه الخلع والتقليد، ولكنه لم يخاطبه بلقب أمير المسلمين، بدليل أن رسالة الخليفة العباسى المستظهر التى ننشرها هنا لا تشير إلى هذا اللقب.

ولم تحتفظ لنا المراجع بشئ من المكاتبات الرسمية بين المرابطين والعباسيين، ولهذا فتلك الوثيقة التى نقدمها هنا تعتبر من غير شك فريدة فى بابها: إنها كتاب المستظهر باللّه العباسى إلى على بن تاشفين ثانى أمراء المرابطين. وهى ليست مؤرخة، ولكن الغالب أنها كتبت لأول إمارة على بن يوسف فى أوائل المحرم سنة ٥٠٠ هـ/ ٢ سبتمبر ١١٠٦م. جوابًا على كتاب أرسله على طلبًا لذلك التقليد كما يفهم من النص.

ولنلاحظ، قبل أن نورد نص الوثيقة أن الخليفة العباسى لا يطالب على بن يوسف بشئ غير الاستمرار فى الجهاد فى سبيل اللّه ويحضه عليه، مما يلقى ضوءًا على طبيعة العلاقات بين الدولتين. (٧٤ ب)

رسـالة

من عبد الله العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين
إلى مقيم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية
على بن يوسف بن تاشفين [1] ، رحم الله جميعهم بمنه

أما بعد، فالحمد لله مقدما على كل مقال، وتاليًا لكل منال، وهو ذو المن والأفضال، الكبير المتعال، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله، المؤيد بتنزيله. الذى كشف به عن الهدى الغمة، واستنقذ من الضلالة الأمة، وحمى به ما كان من المحارم مباحًا، واقتدح من القلوب زنادًا أورى بعد أن كان شحاحًا، وألبس الدين - بعد أن كان بالعدى سلبيًا - من النصر جناحًا، وعلى أصحابه وأزواجه. وخص العباس بن عبد المطلب صنوة النبوة، ووراث الخلافة وشقيق الأبوة، الميمون الطاهر، الظاهر الأوائل والأواخر، بالصلاة المسبلة العهاد، المتجددة [2] الأمداد. ومواهب الله على أمير المؤمنين حبايس، ومنايحه لديه كوامل نفايس، وجناب الإسلام مريع، وباع الحق وسيع، ورياض العدل أريضة وغيون الجور مغضوضة. ونظره للرعايا يعدل الدنيا إذا مال قصدها، ويفل عنه شيئًا الأيام إذا أرهف حدها. والنصر لرياته أليف، والظفر لجيوشه حليف، وأعداؤه للسيوف حصايد، وللحتوف طرايد، وشكره (٧٥ أ) لله تعالى مؤذن بالمزيد، وشاهد لا ينفد ولا يبيد.

---

[1] لاحظ أن المستظهر لا يلقب على بن يوسف " بأمير المسلمين وناصر الدين" بل يكتفى بعبارة "مقيم الدولة العاسية وزعيم جيوشها المغربية" مما يفهم منه أن هذا اللقب الأول كان لقبًا محليًا تسمى به المرابطون دون رجوع إلى الخلافة أو إقرار منها له، كما قلنا فى التقديم.

[2] فى الأصل : المتحدة، وقد قومتها على هذا النحو.

وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك الموضح لإخلاص عقيدتك المطبوعة بطابع الدين، المعربة عن تمسك بحبل اللّه متين، الهاطلة سحايبها من سما سيرتك المضيئة مصابيحها من حميد طريقتك.

فأما ما (أ) نهيته من توفرك على الجهاد، ومن فى جملتك من الأجناد. ودفع أدناس الكفرة عما يليك من البلاد، فأنت وطايفتك من حزب اللّه، وحزب اللّه هم الغالبون.

فأتخذ التقوى عمادك، والحق منارك، وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم شعارك، والعمل - الصالح قصدك، والتوكل - على اللّه أصلك، وأجمع من تلى أمرهم على التناصف، وأصرفهم عن التظالم، وإذا علا بك الانبساط فطامن جناحك، واردد من طماحك، وأعط من نفسك ماتريد أن يعطيك من فوقك[1] .

وتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وبع أعراض العاجلة بالمغفرة من رب العالمين ، وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على ذوايب المنابرة تكن الظافر بالأعداء والظاهر.

والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة، سلامًا يهديهم إلى المقام المجدود ويظلهم فى ظل الرحمة الممدود، إن شاء اللّه.

*****

(1) الغالب أن الخليفة أراد بهذه العبارة أن يحذر أمير المرابطين من خلع طاعة العباسيين والاستعلاء عليهم كما كان الأمراء المستبدون بالأمر يفعلون فى المشرق

الوثيقـــة الثانيـــــــــة

تقديـــــــم :

هذه الرسالة ، على قصرها ، ذات أهمية لا تخفى على من يتطلب شيئًا مـن التفاصيل الخاصة ببيت تاشفين، فهى صادرة من علـى بـن يوسـف إلـى ثـانى أولاده المسمى أبو بكر[1] .

ومن الواضح أن هذه الرسالة صادرة عن على بن يوسف بن تاشفين لا عن أبيه يوسف، ومن الواضح كذلك أن أبا بكر المقصود هنـا ليـس أبـا بكـر بـن يوسـف بـن تاشفين الذى لم يقدر له أن يعيش ليتولى العرش، فقد كان أبـوه يوسـف قـد تركـه مريضا بسبتة وعبر إلى الأندلس عبوره الأول فى سنة ٤٤٧ هـ. ولـم يكـد يفـرغ مـن موقعة "الزلاقة" فى رجب من ذلك العام ويتجرد لجنى ثمارها حتى بلغه نبـأ وفـاة ابنه أبى بكر هذا فى نفس هذا الشهر، فعاد إلى العدوة الإفريقية مسرعًا، إذ أذهلته نكبته فى ابنه عن الاسترسال فيما كان ماضيًا فيه [2].

ودليلنا على ذلك أن الرسالة تذكر أبا مروان بن أبى العلا بن زهر الذى ولـد بين عامى ٤٨٤هـ و ٤٨٧ هـ./ ١٠٩١ م – ١٠٩٤ م مز وهو رابع العلماء الأمجاد مـن بنى زهر الأياديين الأندلسيين، وهو صـاحب كتـاب "الاقتصـاد فـى إصلاح الأنفس والأجساد" وكتاب "التيسير فى المداواة والتدبير" وغيرها كثير. وقد ذكرت المراجع

---

[1] ذكر ابن أبى زرع من أولاد على بن يوسف ثلاثة : تاشفين وأبا بكر وسير (أنظر ص ١٠٢).

[2] ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٨ – الحلل الموشية ص ٥٣ .

أن أبا مروان هذا كان على صلة طيبة بعلى بن يوسف أوَل الأمراء ثم ساءت العلاقات بينهما بعد ذلك لأسباب مجهولة، فبالغ على بن يوسف فى تحقيره ثم سجنه، وظل فى المحبس إلى وفاة على بن يوسف، ثم انحاز إلى الموحدين ودخل فى خدمتهم بعد زوال أمر المرابطين [١].

وهذه الوثيقة تدلنا على أن أبا مروان بن زهر كان مؤدِّباً لأبى بكر بن على ابن يوسف بن تاشفين أولَ الأمر، مما يؤيد لنا أن الود كان معقوداً بينهما قبل أن يحل محله السخط، والوثيقة تثنى على أبى مروان وأبيه ثناء طيباً.

ولما كان من الثابت أن أبا مروان ولد فى أشبيلية وعاش بها صدر حياته. فإننا نستطيع القول أن هذا الأمير المرابطى أبا بكر بن على بن يوسف كان يعيش تحت إشراف المؤدبين فى هذا البلد الأندلسى، وتلك حقيقة هامة تدلنا على أن على ابن يوسف كان حريصاً على أن ينشأ أولاده نشأة أندلسية فى جو متحضر غنىّ بالعلم والعلماء، فلم يستبقهم فى مراكش حاضرة الدولة، بل أرسلهم إلى الأندلس وفى أشبيلية بالذات.

والإشارة الثانية التى تؤكد أن هذا الكتاب صدر عن على بن يوسف إلى ابنه أبى بكر هو تهديده إياه بالنفى إلى ميورقة، ولم تدخل ميورقة فى طاعة بنى تاشفين إلا فى عهد على بن يوسف [٢] والظاهر أن هذا الأخير كان ينفى إليها من سخطه أو أراد عقابه من أهل بيته، فقد ذكر ابن أبى زرع أن علياً حينما أطاعه ابن

---

[١] راجع : ابن خلكان: وفيات الأعيان (طبعة فستفلد رقم ٦٨٣) وكشف الظنون لحاجى خليفة _طبعة فلوجل – لندن ١٨٤٢م) وابن الأبار . المعجم فى أخبار أصحاب أبي على الصدفى (المكتبة الأندلسية مجلد ٤ – مدريد ١٨٨٦ م)

[٢] ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٢

أخيه يحيى بن أبى بكر بعد مخالفة طويلة "خيره أمير المسلمين إما أن يكون سكناه بجزيرة ميورقة أو ينصرف عنه إلى بلاد الصحراء، فأختار الصحراء فأنصرف إليها" [1] .

وهذه الرسالة تدل بوضوح على أن الأمير أبا بكر كان كثير العبث والتشغيب قليل الطاعة لمؤدبه، فكتب إليه أبوه هذا الخطاب الشديد الذى يدل على سخط بالغ.

والغالب أن كاتب هذه الرسالة هو أبو مروان بن أبى الخصال الناثر الأندلسى المعروف، وقد رأس ديوان الإنشاء للمرابطين فترة طويلة، ولم يقل صاحب هذا المجموع أن الرسالة لمروان بن أبى الخصال، ولكن الخطابات الثلاثة الواردة قبل خطابنا هذا من إنشائه [2] ولهذا غلب على ظنى أن هذه أيضًا له، وأسلوبها يتمشى تمامًا مع أسلوب السابقات لها :

(٧٤ أ) وله [3] خلد اللّٰه ملكه إلى الأمير الأجل أبى بكر ابنه كتابنا . ألهمك اللّٰه رشد اللّٰه نفسك، وأبرأ يومك من أمسك، ولا أجناك ثمرة غرسك. من حضرة مراكش ، حرسها اللّٰه، بعد وصول الوزير الجليل أبى مروان ابن الوزير الأجل والفقيه الأفضل أبى العلا بن زهر، محل أبينا برد اللّٰه ضريحه وقدس روحه،

---

(١) ابن أبى ررع ، روض القرطاس ، ص ١٠٣

(٢) كان أبو مروان بن أبى الخصال وأخوه أبو عبد الله من كتاب على بن يوسف، وكان أبو عبد الله أعلى مكانًا من أخيه عند على . وقد سخط عليهما على بن يوسف بعد ذلك بسبب خطاب عنيف كتبه أبو عبد الله على لسان على بن يوسف إلى جند المرابطين العاملين فى ناحية بلنسية يؤنبهم فيه على تخاذلهم. وقد أورد عبد الواحد المراكشى فى المعجب (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م ص ١٧٦) قطعة من هذا الخطاب، وقد عثرت على نصه كاملاً فى المخطوط الذى أنشر منه هذه الوثيقة (أنظر مخطوط ٥٣٨ ص ١٣ أ) .

(٣) المراد هنا على بن يوسف بن تاشفين

يشكو ما يكابده من تشغيبك ويقاسيه من تضريبك، فأمسك عليك رمقك ، ولا يضرب لسانك عنقك، فأدركه حتى يقصر، وخذ من الأمور ما يسر ، وإلا أنفذناك إلى ميورقة على قطع ألواح ودسر، والسلام على من اتبع الهدى وتجنب من الضلالة والردى . والسلام.

الوثيقة الثالثة

لهذه الوثيقة أهمية خاصة، إذ هى تعرفنا بناحية هامة من نواحى علاقات المرابطين برعاياهم فى الأندلس.

فالمعروف أن الفقهاء كانوا يتمتعون بمركز ممتاز فى الأندلس فى عصرى الإمارة والخلافة الأمويتين: كانوا أعمدة الدولة وموضع شورى الأمراء والخلفاء فيما أهمهم من أمور الدنيا والدين، وكان رجال من أمثال يحيى بن يحيى الليثى وبقى بن مخلد وأصبغ بن الفرج ومنذر بن سعيد البلوطى يحتلون مكانًا نستطيع أن نشبهه بما نسميه فى اصلاحنا الحديث "مستشارًا عامًا للدولة" . فقد كان كل منهم يرأس هيئة من الفقهاء يسمون " بالفقهاء المشاورين " ومفردهم "فقيه مشاور " وكان على القضاة أن يستشيروهم فيما يحزبهم من المشاكل الفقهية الكبرى. ولم يكن لهم مقر معين: فكان القضاء يبعثون إليهم "بالمسائل" و "النوازل" فى بيوتهم فيفتون فيها بما يرون. وكان من حق أولئك المشاورين أن يحضروا مجالس القضاة فى العاصمة وقواعد الكور ليروا كيف يقضون بين الناس، ولم يكن عددهم محدودا ، وإنما كان الأمير أو الخليفة يعين من يصلح منهم بعد استشارة رئيسهم الذى كان يسمى "الشيخ الرائس" أو "صاحب الفتيا" . ولم يكن أحد من القضاة ليعين إلا بترشيح صاحب

الفتيا هذا، ولم يكتف "أصحاب الفتيا" بالنظر فى شؤون الدين، بل تدخلوا فى شؤؤن الدنيا وشؤون الدولة، فكان الأمراء يستفتونهم فى كل شئ حتى فيما يتصل بحياتهم الخاصة. ونظراً لهذه المكانة التى تمتع بها "أصحاب الفتيا" فقد أطلق عليهم منذ أيام الأمير عبد اللّه لقبُ "رأس البلد" وهو لقب يدل على ما كان أولئك المفتون يتمتعون به فى الأندلس من عظيم المكانة. وعلى الرغم من احتكاكهم المستمر بالشؤون المدنية فقد ظلوا دائماً "فقهاء" خلصاً ، أى أن همتهم الأولى كانت موجهة إلى رعاية الدين والمحافظة على المذهب المالكى فى أضيق حدوده، ومن هنا أتصفوا بتعصب شديد [1] .

وكان الأندلسيون ينفرون منهم بسبب هذه العصبية وذلك التشدد. وكان الأندلسيون شعباً شروداً لا يطيق السلطان ولا يخضع للحكام إلا راغماً. فكثرت شكواهم من الفقهاء وسخريتهم منهم، وأشعار الأندلسيين حافلة بنماذج السحر اللاذع الذى "تخصص" فيه بعض أحرار الذهب من الأندلسيين مثل يحيى بن حكم الغزال، وتاريخ قضاة قرطبة للخشنى والمرقبة العليا للنباهى حافلان بطرائف معابثات الأندلسيين للقضاة.

فلما أنتثر عقد الخلافة الأموية على رأس المائة الخامسة للهجرة ؛ تنفس مخنق الناس، وأمنوا سطوة الخلفاء الذين كانوا يحمون الفقهاء، ومن ثم فقد أنقلب الناس عليهم وركبوهم بالسخرية فى كل مكان، وفقدوا مكانهم الرفيع. وانصرف

---

(١) أنظر عن خطة الفتيا ومشورة الفقهاء بالاندلس:

H. Monès, Essai sur La cbute du Califat U mayayde de Cordooe. LeCaire, 1948 , Lèvi Provencal , Histoire de L'Espagne Mûsulmane, 111 (Paris, 1953) pp. 127 sqq.

والأصول العربية المعطاة فى هذين المرجعين.

معظمهم إلى التدريس أو الأدب والكتابة وما إليها من موارد الأرزاق. وتراجم "المكتبة الأندلسية" حافلة بالبراهين على ذلك.

وعند ما استولى المرابطون على الأندلس عاد الفقهاء فى ظلهم إلى ما كانوا عليه من سابق السطوة، فقد كان المرابطون قوما متمسكين بالدين شديدى الإجلال لرجاله، ووجدوا فى الأندلس طلبتهم من الفقهاء ذوى العلم الغزير، فرفعوهم إلى مراتب الرياسة، واستغل الفقهاء هذه الفرصة فبلغوا فى ظلال المرابطين مطامحهم فى الرياسة والسلطان ، وأصبح القضاة فى بعض النواحى حكام الأقاليم، وأصبح الفقية المشاور حاكمًا مدنيًا إلى جانب القائد المرابطى الذى كان حاكمًا عسكريًا. وفى "رسالة الحسبة" لابن عبدون ما يدل على أن الفقهاء تمتعوا بهذه المكانة الممتازة حتى أيام الموحدين. وكان سلطان الفقهاء هذا بعض ما نفر الأندلسيين من المرابطين. فكثرت الشكوى منهم فى كل ناحية وترددت السخرية منهم على ألسن الشعراء.

بيد أنه كان من بين أمراء المرابطين وحكامهم على النواحى نفر مالت نفسه إلى الأدب والشعر وتأثر بالبيئة الأندلسية لطول المقام بها، فأحاطوا أنفسهم بالأدباء والشعراء ، وأعرضوا عن الفقهاء . وقد سخطت الدولة على بعضهم لذلك وعزلتهم عن وظائفهم ، وخاصة فى عصر على بن يوسف بن تاشفين، وكان بطبعة أقرب إلى الفقهاء ورجال الدين منه إلى السلاطين وأهل الدنيا.

وكان الزبير بن عمر من هذا الطراز من أمراء المرابطين، كان من بنى عمومة على بن يوسف، وكان قد نشأ وتربى فى بيئة أندلسية، ونشأ أديبًا شاعرًا، وقد أقام فى قرطبة وأتخذ لنفسه فى ظواهرها قصرًا سمى بمنية الزبير[1] وأحاط نفسه بالأدباء والشعراء ولم يول الفقهاء عناية كبيرة. ويفهم من الوثيقة التى أنشرها الآن أن تاشفين بن على بن يوسف أقام الزبير هذا عاملاً على شرق الأندلس، فأقام فى مرسية.

وهذه الوثيقة تكشف لنا عن حادثة تؤيد ما ذكره المؤرخون إجمالاً. فهى تذكر كيف أن القاضى أبا بكر بن أسود "قاضى قضاة الشرق" مر بمرسية فلم يحفل له الزبير بن عمر، ولم يظهر له من الإجلال والإكرام ما تعود أمثاله من كبار الفقهاء أن يلقوه عند إلمامهم بالنواحى، فغضب الفقيه لذلك وشكا إلى تاشفين بن على ، فبادر هذا بالكتابة إلى الزبير يلومه على عدم احتفاله بالقاضى وتقصيره فى العناية بأمرة.

ونص الوثيقة يعبر بأجلى بيان عن أهميتها وقيمتها، ويعنينا أن ننبه إلى حقيقتين هامتين تكشف لنا عنهما إلى جانب ما قلناه فيما مّر:

الأولى : أنه كانت هناك وظيفة تسمى "قاضى قضاة الشرق" فى نظام القضاء فى دولة المرابطين، وكان اختصاص صاحب هذه الوظيفة الإشراف على قضاة شرق الأندلس جميعاً والطواف عليهم للنظر فى أحوالهم. وإذا جاز لنا أن نستنتج شيئاً من ذلك فهو أنه كان لكل قسم من أقسام الأندلس الكبرى.

---

(١) المقرى : نفح الطيب (طبعة أوروبا ج ١ ص ٣٠٧ و ٣٨٤

ويشبه الزبير بن عمر فى ذلك أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف له الفتح بن خاقان كتاب القلائد.

وهى الشرق والغرب والموسطة، قاضى قضاة، وربما اتبع مثل هـذا النظـام فى أقسام المغرب، فكان لكل ناحية من نواحية الكبرى قاضى قضاة أيضاً.

والثانية : أن الكاتب الذى كتب هذا الخطاب، على لسان على بن يوسف، عند ما أراد معاتبة الزبير وإشعاره بعظم خطئـه، ذكّره بـأن هـذا القـاضى عربـى مـن "سلائل بنى جفنة" وأشار إلى مـا عُـرف بـه العـرب مـن كـرم واسـع ومـا امتازوا به على غير العرب من حسن الضيافة، وهى مـن غـير شـك وخـزة مقصودة من هذا الكاتب الأندلسـى الـذى لـم يقصـد مـن ورائـها إلا الإزراء بالمرابطين من طرف خفى. وأمثال هذه الوخزات من الكتـاب الأندلسـيين الذين كانوا يلون الكتابة لأمراء المرابطين كثيرة، فقد كانوا يتحينون هذه الفرص للتنفيس عما كانت نفوسهم تضيق به من كراهة للمرابطيـن وإنكـار لسلطانهم، وأظهر مثال لذلك هذا الكتاب الذى كتبه أبو عبد اللّه بـن أبـى الخصال عن لسان على بن يوسف بن تاشفين إلى أبـى بكـر بـن سير قـائد جند المرابطين الذاهبين لإغاثة أهل بلنسية حينما حاصرهم "السّيد" فقـد أفحش ابن أبى الخصال فى الكلام وخاطب جند المرابطين بقوله: "أى بنى اللئيمة" حتى أسخط على بن يوسف نفسه فعزله عن الكتابة وسجنه. وقـد أورد عبد الواحد المراكشى طرفاً من هذا الخطاب ووجدت نصه كـاملاً فـى هذا المجموع الذى أخذت منه وثيقتنا هذه (مخطوط ٥٣٨ ص ١٣ أ) :

بسم اللّه الرحمن الرحيم   صلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

من أمير المسلمين تاشفين ، إلى الزبير بن عمر ، وفقه اللّه

كتابنا [١] – أعانكم اللّه على مكارم الأخلاق، وأجرى أحوالكم على الانتظام والاتساق – من حضرة قرطبة حرسها اللّه، وقد تعين لنا بتلكم الحضرة عتب قبلك. وقبل من تختصه بالبرِّ ذَنْبُ .

خبِّرنا أعزك اللّه : كيف جاز أن يجتاز بكم الفقيه الأجل القاضي الأعدل أبو بكر بن أسود، قاضي قضاة الشرق، وما بموضعه خفا، ولا باحتفاء الدولة العلية به اختفاء، فتهاونتم بمثواة، ونمتم جميعاً عن قراه، كأنه قد مر منكم بفلاة أو حط على رفات [٢]، وجاز على أقوام أموات. أما إنكم لو حللتم بواديه، ومثلتم بناديه. لزارتكم جفان "آل جفنة" مكللة لحماً مدفقة ثرداً، وهي تنظيم الأضياف سرداً. وتعمهم شفعاً وفرداً. أما إنه من القوم الذين لم تدنس اللؤم ثيابهم [٣] : ولا ضُربت على غير المكارم قبابهم، يُغشون حتى ما تهر كلابهم. وقد ذهبتم فيها عريضة. إذ تقلّبوا [٤]لدينا أجفاناً غضيضة، وتُرشقوا بسهام الملام، تحير فيكم سوء الكلام. لا وَجِد بملامتنا ضيف، ولا ألم بنا للبخل طيف! فلتعلموا مكان هذه الفعلة الفادحة والفرطة الفاضحة، واللّه ولى الأعمال الراجحة.

---

(١) فى الأصل : كتبنـــــــا

(٢) فى الأصل رفاه

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل أصوب قراءة لها : لم تدنس باللؤم ثيابهم.

(٤) كذا فى الأصل ، وصحتها . تقبلون

الوثيقـــــة الرابعـــــة

هذه الوثيقة تعطينا بيانات طيبة عن خطة هامة من خطط القضاء فى الأندلس والمغرب، وهى خطة "صاحب الأحكام" والاسم الذى كان يطلـق عليـها وهـو "خطـة الأحكام" ، فمن المعروف، بناء على ما يقوله ابن سهل فى كتابيه المعروفين "ديوان الأحكام الكـبرى" و " كتـاب المعيـار المُغْـرب والجـامع المُغْـرب عـن فتـاوى أهـل الأندلس والمغرب" وما كتبه ابن عبدون فى "رسالته" والنباهى فى "المراقبة العليا" وغيرهم، أن خطة الأحكام كانت خطة قضائية صغيرة يتولاها فقيه من الناشئين فى سلك القضاة، فى ناحية صغيرة أو حى من أحيـاء بلـد كبـير، نيابـة عـن أحـد كبـار القضاة، وبتوكيل خاص منه يخوله الحق فى إصدار الأحكام بأسمه فيمـا يعـرض لـه من القضايـا، وهـذا هـو مـا نستطيع أن نسـميه قضـاء الدرجـة الثانيـة بمصطلحنـا الحديث، وكان فى الأندلس والمغرب كذلك "قضاء درجة ثالثة" يتولاه فقيه يعــرف "بالمسَدِّد" لا تزيد دائرة اختصاصه عن قرية صغيرة، ولا يتصدر للحكم إلا فى صغار القضايا والمنازعات.

ولكن هذه الوثيقة تكشف عن أشياء جديدة تتصل بخطة الأحكام هذه وهى :

أولاً : تسمى الوثيقة أمر التولية "صكا" دون زيادة ، ولا نعرف إذا كـانت أوامـر التولية فى الوظائف كلها كانت تسمى صكوكاً أو أن ذلك كـان خاصـاً بـهذا الطراز من الوظائف، وهى على أى حال تضيف إلى معلوماتنا عن المصطلح الإدارى الأندلسى فى عصر الطوائف شيئاً جديداً .

ثانياً : تبدأ الوثيقة بعبارة : "كتاب ترفيع وإظهار، وتنوية وإيثـار، أمـر بعقـدة الريس ٠٠٠٠" أى أن التولية فى مثل هذه الوظيفة كانت تسمى بالعقد.

ثالثاً : العقد صادر هنا عـن "الريـس الأجـل والأمـير الأطـول" وليـس مـن قـاض رئيسى ، ومعنى هذا أن عقد هذه الخطة كـان بيـد أمير الناحيـة نفسـه. وهذا يحتمل أحد أمرين: إما أن يكون هذا تطور فى طريقة عقد هذه الخطط جَدَّ على أيام الطوائف، أو أن هذا كان أمراً عادياً جرى بـه العرف فى أمر هذه الخطة من قديم الزمان، وأغفل الكتاب التنبيه إليه.

رابعاً : أن الأمير يعقد لصاحب الأحكـام هنـا خطـة الأحكـام فـى "جـهات فلانـة وفلانة" أى فى أكثر من جهة، مما يدل على أنها كانت خطة كبيرة تشمل نواحى بأسرها لا بُلَيْدة أو حياً من مدينة كما كان يظن.

خامساً : أن الفقيه المُوَلّى فى هذه الخطة ليس فقيهاً صغيراً، بـل رجـل سبقت لـه ولاية الأمور، فهى تقول : "٠٠٠ لما خبر وعُلم قديماً مـن سلوكه بنفسـه سبيل الاعتدال، وجريه على أقدام طريقة فى جميع الأحوال" .

سادساً : إن التعليمات الصادرة إليه فى هذه الوثيقة لا تشير إلى وجود قـاض فوقـه أعلاً منه فى نواحـى اختصاصـه، فـهى تكتفـى بتنبهـه إلـى "تقـوى اللّـه العظيم" و "الاقتداء فى جميع أحكامه بالقرآن الحكيم٠٠٠" بل أن الوثيقة تدل على أن أحكامه نهائية لا يراجع فيها الأمير نفسه. فهى تقول قـرب نهايتها : "وبرأ إليه، أيده اللّه (أى الريس) من درك ما اسـترعاه وتبعـة ما ولاه" .

سابعاً : لا تذكر الوثيقة شيئاً عن الراتب المقرر لهذه الوظيفة، بل لا تشير إلى شئ من ذلك، وليس فيها أيضاً ما يشير إلى مدة الولاية وما إلى هذا.

وواضح أن هذه الوثيقة ما هى إلا " نموذج " لعقد تولية أدرجه جامع هذا المجموع لينسج كتاب الدواوين على منواله، ومن ثم فليس فيه أسم لشخص أو مكان، ولكن هذا لا يقلل من قيمتها [1] .

(٨٣ أ) كتاب صك عن أحد الرؤساء

كتاب ترفيع وإظهار، وتنويه وإيثار، أمر بعقده الريس الأجل والأمير الأطول أبو فلان، للفقيه "صاحب الأحكام" فلان بن فلان ، أظهر أيده الله به كريم مذهبه فيه، وأهّله لما يستوجبه ويقتضيه، فقدمه به إلى "خطة الأحكام" بجهات فلانة وفلانة، لما خُبر وعُلم قديماً من سلوكه بنفسه سبيل الاعتدال، وجزيه على

(١) انظر ، علاوة على الأصول العربية المشار إليها فى المتن، الأبحاث الآتية عن نظام القضاء فى الأندلس والمغرب.

Julián Ribera, Disertaciones y Opùsculos (Madrid 1938) t.I.p. 385 – 416
N. Brunuv et M. Gaudefroy – Demombynes: Le Livre des magistratures d'el-Wancberisi Rabat 1937.
E . Ampar, Consultations juridiques des faqibs du Magbreb (Archives Marocaines. Paris 1908).
J ,. Lôpez Ortiz, Formularios notariales de la Espana musulmana (La Ciudad de Dios, El – Escorial, vol. CXLV, pp. 260 – 273).
E. Tyan, Histoire de I'Organisation judiciaire en pays d'Islam, a vol. Paris, 1938.

وأنظر بصفة خاصة:

E. Lévi Provençal, Histoire de I'Espagnc musulmana, col 111, Paris, 1953. PP. 113 sqq.

أقوم طريقة فى جميع الأحوال، وبما تخصص بـه مـن متانـة ديـن ونزاهـة نفـس [1] وصحة يقين.

وأول ما نـــدبه إليه، أيده الله، تقوى الله العظيم، والاقتداء فـى جميـع (٨٣ ب) أحكامه بالقرآن الحكيم، والعمل فيها بسنة نبيه محمد، صلى اللّـه عليـه وسلم، رسوله الأكرم.

فليمتثل ما ندبه إليه، أيده الله، ولؤثـر الحـق الألـزم، وليوطّـئ [2] جانبـه للخصوم، ولا يوخر الأخذ بـالحق مـن الظـالم للمظلـوم، حتـى يسـتوى عنـده القـوى والضعيف، وينزل بمنزلة واحدة الشريف والمشروف، ولايأخذه [2] فـى اللّـه لومـة لايم . وليتلقى [3] ذلك كله بيقين صحيح وجد لله تعالى صريح. وتبرأ [4] إليـه أيـده الله من درك ما استراعاه وتبعة ما ولاه، والله يلهمه إلى ما ينجيـه، ويعصمـه مـن الزلل ويقيه بمنه. وكتب فى شهر كذا من سنة كذا، والله المستعان.

******

---

(١) هذه العبارة "ونزاهة نفس" وردت بالهامش الأسفل من الصحيفة

(٢،٢) هكذا ورد اللفظ فى الصل، دون همزة. ونلاحظ على وحه العموم أن هذه الوثائق تجرى فيما يتصـــل بالهمزات على مذهب التسهيل.

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل : يريد تبرأ

الوثائق الخامسة والسادسة والسابعة

قلت فيما تقدم أن هذه الرسائل الثلاث تتعلق بمسألة واحدة: نزاع بين أبى بكر بن الصايغ الفيلسوف، والأستاذ أبى محمد البطليوسى الكاتب النحوى الشاعر المعروف، وأنها ، وإن كانت لا تتصل بالمرابطين مباشرة، إلا أنها تلقى ضوءَ بَيِّناً على الجو العام الذى كان يعيش نيه أهل الفكر الأندلسيين فى ذلك العصر، جو الخصومة والمنازعة والتشاغل بتوافه الأمور، من خلاف حول مسائل نحوية إلى تدبيج رسائل ذات أسلوب متكلف يراد به التدليل على مدى تبحرهم فى علوم العربية وآدابها.

والطريف فى الموضوع أن الأستاذ البلطليوسى لم يكلف نفسه عناء الحَديث عن "المسألة" التى ثار حولها هذا النزاع، نعم إنه يفهم من نص الرسالات رأيه فيها، وماذا قال ابن باجة وماذا قال هو. وربما جاز لنا أن نستنتج من ذلك أنه كان يشعر أن حجته ضعيفة، وأن ابن باجة قد أفحمه فيها، فمضى يكتب إلى أصحابه يبالغ فى تصوير موقفه ويهوِّل فى الكلام عن نفسه وعلمه وحزمه، وهو لا ينسى فى نهاية كل رسالة أن يتحبب إلى من يكتب إليه ويثنى عليه ويذكر فضله عليه، بل هو يبالغ فى ذلك فى الرسالة السادسة، ويبدى من التمكن ما يدل دلالة واضحة على أن مركزه كان ضعيفاً فى ذلك الخلاف، وهو فى الرسالة السابعة يمس موضوع الخلاف من بعيد دون أن يفصح عنه إفصاحاً كافياً.

وصاحب هذه الرسائل الثلاث هو أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن السِّيد البطليوسى الأديب النحوى المعروف (٤٤٤هـ/١٠٥٢م - ٥٢١هـ - ١١٢٧م) صاحب

التآليف الكثيرة فى النحو والأديب والفقه، وصاحب "كتاب الحدائق" وهو رسالة طريفة للمبتدئين في دراسة الفلسفة، وصاحب هذا المجموع يكتفى بتسميته "أبو محمد" أو "الأستاذ" أو الأستاذ الفقيه، ولم يذكره بأسمه الكامل إلا فى أول رسالة أوردها له في هذا المجموع (ص ٢٣ أ من المخطوط) .

وفى الكتاب كذلك نحو عشرين رسالة من قلمه تعطينا فكرة واضحة عنه ككاتب وأديب [(١)].

وقد استطعت أن أحقق شخصيات اثنين ممن كتب إليهم أبو محمدَ البطليوسي، هما : أبو محمد بن الأَرَوْشيي وأبو محمد بن سفيان. أما الثالث. وهو أبو عامر بن الكناس فلم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المراجع.

فأما ابن الأروشيي فهو أبو محمد عبد اللّه بن حيان الأروشيى نسبة إلى أَرَوْش قرية من عمل قرطبة، وكان أبوه حيان بن عبد اللّه الأروشيى من أهل الفقه والعلم (أنظر التكملة لابن الأبار، ترجمة رقم ١٢٢) ولهذا يسمى هو ابن الأروشيى فى الرسالة . وقد عاش بين سنتى ٤٠٩هـ و ٤٨٧هـ/ ١٠١٨ م و ١٠٩٤م. وقد وصفه الضبى فى البغية "بالفقية المحدث العارف" وقال فى ترجمته "وكانت له همة عالية فى اقتناء الكتب وجمعها. ذكر ابن علقمة فى تاريخه أن ابن ذى النون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشى من داره، وسيقت إلى مقره، وذلك مايه عدل وثلاثة

---

(١) انظر عن أبى محمد بن السيد البطليوسى: ابن بشكوال، الصلة ، رقم ٦٣٩ الضبى ، البغية، رقم ٨٩٢ وابن خلكان، وفيات الأعيان _طبعة محيى الدين عبد الحميد) رقم ، ج .ص . ابن خاقان، القلائد، (طبعة مرسيليا وباريس سنة ١٢٧٧ هـ) ص ٢٢١ - ٢٣١. وبروكلمان، ج ١ ص ٤٢٧ وأنظر عنه بصفة خاصة. Miguel Asin Palacios, Ibm Al- Sid de Badajoz su – Libro de los Cercos – (Kitab Al Hadi'q. Al – Andalus, vol. V, 1940 lasc. 1 pp. 45- 154.

وأربعون عدلاً من أعدال الجمالين. يقدر كل عدل منها بعشرة أرباع، وقيل إنه كان قد أخفى منها نحو الثلث " (الضبى، بغية الملتمس ترجمة ٩٢٠) .

وأما أبو محمد بن سفيان فهو "عبد اللّه بن سعيد التجيبى، من أهل قونكه، يكنى أبا محمد، روى عن أبى بكر بن عاصم بن أيوب وغيره، وكان أديبًا ماهرًا كاتبًا شاعرًا، له حظ وافر من علم اللغات والأشعار والأخبار ومشاركة فى علم الحديث. أخذ عنه ابن أخيه أبو محمد سفيان بن عبيد اللّه بن سفيان، وقيد عليه كتب الآثار والآداب، وكتب بين يديه أيام وزارته لبنى ذى النون بشنت بريه . ذكر ذلك ابن ابنه أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن سفيان، وحدث عنه أيضًا أبو عبد اللّه بن العويص. وقال أبو القاسم بن حبيش : توفى سنة ٥١٣ هـ (أى سنة ١١١٩ م) ابن الأبار، التكملة ترجمة ١٣٢٥ .

[مخطوط ٤٤٨ ، ٣٥ ب]

رســــــالة

خاطب بها الفقيه الاستاذ أبو محمد [البطليوسى] الوزير أبا محمد بن الأروشى فى مسئلة نازع فيها ابن باجة

ياسيدى الأعلى وعمادى الأقوى، ملكك الله نواصى النعم ، وبلغك أقاصى الهمم، ووطد عزك ومكنه، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. لا غرو أن ينفث مصدور ، ويتأثر موتور، إذا جهلت حقوق الأكارم واتسعت فى الحلم طرق المظالم.

وإذا أراد اللّه نشر فضيلة طـــــويت أتاح لها لســــــان حـــــــود

لولا اشتعال النار في جزل الغضا ما كان يعرف طيب عرف العود

اتصل بى، أدام اللّه عزتك، وحمى من النوب حوزتك، مرارًا جمة عـن هـذا الرجل ابن الصايغ الذى يزهى بنفسه، وينتقص ابنأ [1]جنه ، أنـه يشم عنـد ذكـرى بأنف الاستكبار، ويفرط فـى التجـهيل لـى والاستصغار، وينحـت صفـاتى ويقـرع، ويكثر من الإفحاش في جهتي ويقذع، فإن كان قد توهم أنى هشيمة لضرمة وطعمـة من طعمه وفريسة بين ساعديه وفمـه، فليعـد الفراسـة والنظـر، وليستشـهد العيـن والأثر، وليتحقق الخبر والخبر، فسيعلم أنه يقرع مروة لا يضيرها، ويلجلج مضغـة لا يحيرها.

[٣٦أ] ويعجم منى عند الحفاظ حصاة تفل شبا العالمينا

وقد وجهت إليك أعزك اللّه بالمسئلة التى أثارت هذا الإعصار، وهاجت هذا الأوار، وغرضى فى إنفاذها أن أقتدح زنده، وأقف من الجواب على ما عنده، فتطـول بإهدايها إليه واستدعاء[2] نقضها من لديه، وربما لم يكن لها جواب. غـير السـكوت والإضراب، وكأنى بع قد أرتمض من قولى وتألم، واستأخر وتقدم، وألهب فى ذهنـه قبسا، وضرب فى أذنه جرسا، والبادى أظلم، وصدم الشر بالشر وحزم، والقول بعـد عتيد ، ولدى إن شاء مزيد . وأنـا – أطـال اللّـه بقـاك – لإجمـالك شـاكر ولا هتبـالك ناشر، وليس ببديع ممن طـاب فرعـه وعنصره، أن يكـرم خـبره أمحـبره، ويحسـن مغيبه ومحضره إن شاء اللّه تعالى.

---

(1) كذا فى الأصل .

(2) كذا فى الأصل . وضعت الهمزة المكسورة تحت الألف، والمراد : استدعاء.

[٣٦أ]

رســــــالة

خاطب بها الفقيه الأستاذ للوزير أبى محمد بن سفيـــان فى هذه القصــــة

يا عمادى الأعظم وعتادى الأكرم، دمت عامرة بك [١]أنديــة المجـد، خافقـة عليك ألوية السعد، العجب كل العجب، بين جمادى ورجب، وكل مجر بالخلا بـر. ولكل نبأ مستقر.

[٣٦ب] وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى فُاضل

وقد كنت، أطال الله بقأك [٢]، وحرس من النوب حوبـاءك، أسـمع عـن ابـن الصايغ ولسَـنه، وتصرفـه فـى العلـوم وتفننـه، فـأحرص علـى مـرأة [٣]، وأرجـو أن يجمعنى الزمان وإياه، وأقول الأشكال أقارب، والآداب مناسب، فلما أتاح لى الدهر لُقْياه، كان المعيدىّ : أن تسمع به خبر من أن تراه. وخالف الخبرُ الخـبرَ، وكذبـت العينُ الأثر، ورأيت رجلاً علمه أغاليظ، وكلامه تخاليط، ووقع الـنزاع والمشـاجرة، وتنافر[٤] الطباع وحبذا المنافرة، وجرى بيننا كلام، دَبتْ عليه الليالى والأيام. حتى

---

[١] وردت هذه الكلمة فى الهامش .

[٢] كذا فى الأصل، يريد: بقاك . وقد ابقيت الصورة الإملائية لهذه الرسائل كما هى فى الأصل.

[٣] يريد : مرآة.

[٤] وردت الفتحة على الفاء الأصل.

ظننت أنها دايرة قد عفت دارها ونايرة قد طفيئت نارها، حتى رأيت الجرج قد انتقض، والجمرَ خلال الرماد قد أومض.

وإن الجرح ينغر بعد حين إذا كان البناء على فساد

واتصل بى عنه هذر وإكثار، واستجهال لي واستصغار، فقلت: جرح العَجْمَا جُبَار، ثم جعل يبدى ويعيد، ويهدى إلى خنـاه ثاني الجيد، فقلت: كأني بهذا الفاضل، الذى لا يحلي من كلامه بطايل، قد توهم لكثرة إعراضي عنه، واحتقارى ما يأتى منه، أني بكئ اللسان عديم البيان [٣٧ أ] فلأرْمَينَّه بادٍ [١] صَيلم، ولأغمسنه فى عدٍ عَيْلّم، ولأسلكن به فى قفر أبهم [٢]، ولأحملنه على ظهر شَيْلم، ولينسكبن هذا العارض المدْهِم، وليسيرن بأمرنا المنجدِ والمُتْهِم، حتى يُعْلَم من المؤخر منا ومن المقدم، وأى سورَيْنا الضعيف المهدم، وسيف أينا الكهام، ومزن أينا الجهام. فإن الجِد غير الهزل، "وحلم الفتى فى غير موضعه جهل" .

ولما كنتَ، أدام اللّه عزك، عالم خُبْرى وخَبرَى، وموضعَ وردى وصدرى. ومن أ ُبثُّه عُجرى وبُجرى. والذى تثنى عليه الخناصر، ويفاخر بمثله المفاخر. رأيت أن أهْدى إليك حالي معه ، لترى غرضه ومنزعة، واللّه تعالى لا يعدمنى الاستظهار بمكانك، ويبقيك عيناً لزمانك، وزينا لخلانك، ويزيد فى جلالة قدرك وشأنك بمنه والسلام.

****

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله يريد: باد.

(٢) كذا وردت هذه السجعات الثلاث فى الأصل .

[٣٧ أ]

رســــــــالة

خاطب بها الفقيه الأستاذ [1] للوزير

أبى عامر بن الكناس فى هذه القصــة

أطال اللّه بقاء عمادى الأعظم وعتادى الاكرم، جليل المقدار، جميل الاثار، ساميا فى مراتب الفضل، قاضيًا بواجب العدل.

وجهت إليك، أدام اللّه عزك بالمسئلة التى حكت [2]هذه الاحامس. وهاجت حرب داحس [٣٧ ب] على حقارة أمرها، ونزارة قدرها، لترى عند تصفح معانيــها، والوقوف على ما قلته فيها، أنى لم أنازع هذا الرجل فى جــواز مـا قـال واختيـاره، وإنما وقع النزاع فى دفع الوجه الثانى وإنكاره. والرجل ليس يتكلم فى صناعة النحو بما تقتضيه. وإنما يتكلم برأيه الذى يرتبييه [3]. وقد كنت قاربته أولاً فيــها بعـض المقاربـة، ولم أجاذبه كل المجاذبة، وقلت : "ليس يحط العالم عن مرتبـة علمـه مـا يبدو من غلطه فى بعض ما يقول ووهمـه، وسـتكون لنـا مجـالس تقـع فيـها الخـبرة وتتمكن العشرة، وترتبط ودنا ونرتبط وده، ويستفيد مما عندنا ونستفيد ممـا عنـده" وغاب عنى قول الحكيم الموفق : عداوة الكامل خير مـن صداقـة الأحمـق، فلمـا ورد

---

[1] المراد هنا أبو محمد بن السيد البطليوسى ، كما بينت فى التقديم.

[2] الكلمة غير واضحة فى الأصل، وهى تقرأ كتب وجلبت وحاكت وحكت، وقد اخترت الأخيرة.

[3] كذا فى الأصل .

الآن جعل يُبْدى وُيعيد، ويُهدى إلىَّ خناد ثاني الجيد، وُيكثر من اسْتجْهَالى وتخطئتى فى مقالى ، فقلت : " أكثرَتْ تُماضرُ وأدَلّت ورمتنى بدايها، وانسلّت وهذا العارض المُرِدُّ سينسكب ويَهمْى ، والشئ تحقره وقد يَنمِى.

ولا بد للماء فى مرجل   على النار مُوقَدَةً أن يفورا

ووَجَّهْتُ إليه بكلامى فى المسئلة[1] ، وقلت : لعله سيكتب فيها شيئاً يراه البادى والحاضر، ويسير به المنجدُ والغاير. وأنا أعلم أن كلامه [٣٨ أ] لا يعدو مقْوَلهُ ، ولا يتجاوز منزلهُ، فهَدَرَ هدير المُعَنّى، وتَكَلَّم بما لا يَتَحَصَّلُ لأكثره معنى، وتكص عن نقض قولى وأحجم، ولو رأى مَسَاغاً لِنَابيْه الشجاعَ لَصمَّمْ. وصوَّورَ عند الجُلساء والأصحاب لأنى[2] لستُ بأهْل لأن أجاب. وأنتَ، أدامَ اللّه عِزَّتك. وحمى من النُّوبِ حَوْزَتك، تقف على غَرَضها وفحواها، وتتأمّل أولاها وأخْراها. فإن الرجل عندكم موسوم بالفهم، ومرسومُ بالتَّفَنُّن فى العلم، وليس يَفْضَحُ المخبوءَ إلا الاختبار والاستكشاف، ولا يعلم ما فى الخُفِّ إلا اللّه والإسكاف، والسلام.

---

[1] كذا هنا الهمزة.

[2] كذا فى الأصل ، لعله : إنى.

الكشـــاف العـــام

١ - الأعــــــلام

٢ – الأماكن الجغرافية

٣ - الطــوائــف والبطـــون

٤ - الأشـــعار

٥ - الكتب الـــواردة فى النص

******

فهرس



رقم الإيداع	٢٠٠٠/٢٢٤٤
الترقيم الدولي	977-5250-68-4

دار المصرى للطباعة
ت: ٣٨٣٦٥١٦ ــ الهرم

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧